

التقنيات الحجاجية في كتاب (درر السمط في خبر السَّبَط) لابن الأَبَار الأندلسي

م.د.كريم ضباب مطر

مديرية تربية كربلاء المقدسة

kareemdabab7@gimall.com

المخلص

اعتنى هذا البحث بالتقنيات الحجاجية المستعملة في كتاب (درر السمط في خبر السبط) لابن الأبار الأندلسي ت(٦٥٨هـ) التي وظفت من أجل اقناع المتلقي بما يؤمن به من معتقدات وأفكار وأراء؛ إذ تناول ابن الأبار في هذا الكتاب مظلومية أهل بيت النبي محمد (صلى الله عليه واله) والتي وقعت عليهم بأيدي بني أمية من اغتصاب الخلافة من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى واقعة استشهاد الحسين (عليه السلام)، فضلا عن نقل بعض الأحداث والروايات المتعلقة بالنبي وآل بيته الأطهار (عليهم السلام)، فكانت تلك التقنيات مقسمة على ثلاثة أقسام الأولى تقنية (سلطة النص الديني) وتعني السلطة الضاغطة التي يمارسها ويفرضها النص الديني على المتلقي من أجل اقناعه بالفكرة المطروحة في النص، والثانية: (تقنية الشاهد)، ويقصد بها توظيف الشاهد الشعري ودلالته لإيضاح موطن الحجاج للمتلقي والثالثة: (تقنية الفنون البلاغية)، وهي استعمال الفنون البلاغية؛ لأنها وسيلة من وسائل الاقناع والفهم ومن ثم التأثير في المتلقي ليتقبل الفكرة التي جاء بها النص الحجاجي.

Abstract

This research took care of the argumentative techniques used in the book (Durar al-Samt fi Khabar al-Sibt) by Ibn al-Abbar al-Andalusi d (658 AH), which was employed in order to convince the recipient of what he believes in in terms of beliefs, ideas and opinions. God be upon him and his family), which occurred to them at the hands of the Umayyads, from the usurpation of the caliphate by the Commander of the Faithful Ali bin Abi Talib (peace be upon him) to the incident of the martyrdom of Al-Hussein (peace be upon him), as well as the transmission of some events and narrations related to the Prophet and his pure house (peace be upon them). These techniques are divided into three sections, the first: the technique (the authority of the religious text), which means the pressing power exercised and imposed by the religious text on the recipient in order to convince him of the idea presented in the text, and the second: (the technique of the witness), which is intended to employ the poetic witness

and its significance to clarify the place of pilgrims to the recipient The third: (rhetorical arts technique), which is the use of rhetorical arts, because it is a means of persuasion and understanding, and then influencing the recipient to accept the idea that came from the argumentative text.

المقدمة:

لم تمرّ مظلومية اهل البيت (عليهم السلام) مرور الكرام في التراث الادبي العربي الاندلسي ، فقد انبرى لها ثلة من الادباء والشعراء ، محاولين اظهارها ، ونشرها وإعلانها في نتاجاتهم الشعرية والنثرية ، وابن الأبار الاندلسي حاول ذلك في كتابه (دُرر السَّمط في خبر السَّبَط) ؛ إذ مجّد ابن الأبار ال بيت النبي (عليهم السلام) وفضلهم على سائر المسلمين ، معتمدا في ذلك على تقنيّات حجاجية واضحة بثها في كتابه ليوصل الى المتلقي رأيه الذي يؤمن به وهو أحقية اهل البيت (عليهم السلام) في الخلافة ، فضلا عن مظلوميتهم وبخاصة الامام الحسين (عليه السلام) ، وإبراز ذلك عبر الوسائل التقنية للحجج والبراهين.

ولكن سنقتصر في هذا البحث على التقنيات الحجاجية التي شكّلت ظواهر حجاجية هيمنت على معظم نصوص الكتاب بشكل ملحوظ .

وهي تقنيات ثلاث الاولى (تقنية سلطة النص الديني) والثانية (تقنية الشاهد) والثالثة (تقنية الفنون البلاغة) ؛ إذ استعملها ابن الابار في كتابه (درر السمط) موظفا اياها كوسيلة اقناعية لإيصال فكرته واعتقاده.

التمهيد في العينة والتطبيق:

١- الحجاج: كَثُرَ الكلام حول هذا المصطلح وتنوعت الآراء التي تحدد استعمالته وانواعه ودلالاته ، ولكنها اتفقت على انه يهدف الى التأثير في المتلقي ؛ إذ يدعو الى الاقتناع بفكرة ما يطرحها المُحاجج تُنقل عبر النص النثري أو الشعري . فالحجاج يهدف الى الإقناع عن طريق تعديل فكرة أو نقد أطروحة أو جلب اعتقاد أو دفع انتقاد ، فقد يعلن المتكلم أمرا ويذكر آخر ، يختزل فكرة ويسهب في تحليل أخرى ، يسأل ويجيب ، بل قد يأتي بالفكرة الواحدة على أنحاء مختلفة فيبرز في نصه سحر البيان وجمال اللغة^(١). وهذه الفكرة أو الافكار التي يطرحها المتكلم بأسلوب الحجاج قد تكون قضية عقائدية او شرعية او تاريخية او اجتماعية أو ادبية ، يتفاعل معها المتكلم ايجابا او سلبا ، يطرح الادلة وما يراه من اراء يؤمن بها ويطمئن اليها.

وللحجاج غاية يعمل على تحقيقها وهي تفرض على المتلقي نمطا من النتائج بوصفها الواجهة الوحيدة التي يمكن للمتلقي أن يسير في ضوئها^(٢) ، ومن يروم الحجاج في كلامه عليه مراعاة المقام التي تساعد على تحقيق المقدرّة الإقناعية للخطاب الحجاجي - فلا بد في العملية الحجاجية من مراعاة المتلقي أو الاستحواذ على انتباهه في مرحلة أولى ثم التأثير فيه في مرحلة ثانية ، وهذا قد اجمع عليه كل الدارسين المهتمين بالحجاج وأفانينه^(٣) ، ويجب استمالة المتلقي والاستحواذ عليه بالحوار والإقناع لا بالجبر والعنف فالحجاج هو حوار من أجل حصول الوفاق بين الأطراف المتحاورّة ليتم التسليم برأي آخر بعيدا عن

الاعتباطية واللامعقول ، وبعيدا عن الإلزام والاضطرار فهو عكس العنف بكل أشكاله^(٤) ، وقد ينبري أحد الأشخاص للتكلم عن قضية ما تخص مجموعة من الناس دار حولها الخلاف فيتبنى الدفاع و المحاججة عن الرأي الذي يؤمن به ، مستعملا تقنيات حجاجية مختلفة ليقنع المتلقي برجاحة رأيه المُتَبَنَّى ، و لا يتحقق نجاح العملية الحجاجية ونجاحتها إلا بالتقنيات الحجاجية ، والتي هي ركائز البلاغة الجديدة ، وعليها مدار الحجاج في اي خطاب .

٢- التعريف بالمؤلف وكتابه: هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر القضاعي الشهير بابن الأبار البلنسي الأندلسي^(٥)، ولد في بلنسية عام (٥٥٩٥ هـ) وتوفي عام (٥٦٥٨هـ)^(٦) ، تربى في بيت علم ودين وفضل ولكنه لم يكن من بيوت الرئاسة والولاية ، عاش في عصر كثر فيه القلق والاضطراب بسبب الصراع بين المسيحية والإسلام على الأندلس ، والمنافسة بين مشرق الإسلام ومغربه ، وبين العدوتين المغربية والأندلس، فتميز هذا العصر بازدهار الأدب والثقافة وانتشار التدوين وإبداع كل جديد.^(٧)

فكانت تلك الأحداث والمميزات التي اشتمل عليها هذا العصر من اهم الاسباب والمؤثرات في رسم حياة ابن الابار العلمية والعملية ، فكان كتاب(درر السمط) مصداقا عمليا يظهر ثقافة المؤلف المتنوعة وعلمه الوفير الذي تمثل بحفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، و الشعر العربي ، فضلا عن الأمثال والأحداث والمواقف التاريخية الاسلامية الجسيمة التي غيرت مسار واتجاه الدين الاسلامي الى الآن ، لم يكن ابن الأبار مستحضرا لها فقط ، وإنما حاكمها وابدى رأيه فيها منتقدا من ظلم آل بيت النبي (عليهم السلام) ، ومنتصرا للحق الذي تمثل فيهم .

٣- كتاب درر السمط: وهو كتاب صغير الحجم وقليل عدد الاوراق ، لكنه عظيم الشأن وكبير المنزلة في الدفاع والمحاججة عن أهل البيت (عليهم السلام) ، و إظهار نورهم ومراتبهم التي رتبهم الله تعالى فيها ، فضلا عن معاداة من نصب العداة لهم واستخف بحرمتهم واستولى على حقوقهم .

يُعد هذا الكتاب كنزا ثميناً وأثراً نفيساً فهو آية في النثر الفني ، ابدعه مؤلفه ابن الابار في هذا الاسلوب الجميل ، الذي جمع فيه غزارة المادة وروعة الانتقاء وفن العرض والتحليل، فهو بعد أن يسترسل في كل فصل في موضوعه ينتقي آية قرآنية، أو حديثاً نبوياً شريفاً، أو قولاً للإمام الحسين (عليه السلام)، أو قطعة نثرية أو شعرية صغيرة من التراث العربي يضعها في سياق الكلام ؛ إذ يذهل المتلقي وهو يسترسل في قراءة هذه الفصول بهذا الخزين اللغوي والأدبي والتاريخي الهائل لابن الأبار.

وقد ضم الكتاب خمسة وأربعون فصلاً استعرض فيها ابن الابار حياة الرسول العظيم محمد (صلى الله عليه وآله)، و حياة ال بيته أصحاب الكساء علي وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله عليهم) فيصفهم بأنجم الهداية وذرية النبوة و قد نغم على ال أمية وتبرأ من فعلتهم بال بيت النبي واغتصابهم لحقهم في الخلافة ، ثم ينهي هذه الفصول بالتوبة والندم على ما فرطه في حق اهل بيت النبوة (عليهم السلام) ، ويسأل الله تعالى ان يغفر له بحقهم وان يكون في الآخرة بجوارهم.

ولموقفه هذا إرهاصات جسيمة منها اتهامه بالتشيع فقد وصف المقرئ كتاب درر السمط بأنه " غاية في بابه ، ولم أورد منه غير ما ذكرته لأن في الباقي ما نشم منه رائحة التشيع ، والله سبحانه يسامحه بمنه

وكرمه ولطفه"^(٨) ، فكل من ينصف أهل بيت النبوة (عليهم أفضل الصلاة والسلام) يضعونه في خانة التشيع وكأنها تهمة جاهزة لكل من خالفهم ، ولم ينسبوه الى الإنصاف والعدل ، فقد تناول ابن الأبار في هذا الكتاب عدة قضايا عقائدية اسلامية مفصلية منها قضية تطهير أهل البيت عليهم السلام من الرجس وتفضيل الإمام علي (عليه السلام) على بقية الخلفاء ومن ادعى الخلافة أمثال معاوية وبني أمية ، فضلا عن ذكره لقصص استشهاد الأئمة علي والحسن والحسين (عليهم السلام) مشيرا الى دور بني أمية في استشهادهم .

مستعملا في كتابه ما اختزنه من خزين ثقافي وتراثي اسلامي قرآني عارضا اياه بصورة بيانية جميلة مؤثرة تستدعي العاطفة الجياشة تجاه أهل بيت النبي (عليهم السلام) ، فكانت الفواصل القصيرة والسجعات المتوازنة ، والألفاظ ذات الجرس الخاص مع ختم كل فقرة أو فكرة بأية قرآنية كريمة أو حديث نبوي شريف أو ابيات شعرية أو مثل متخير ويرد ذلك اما نسا او تضمينا.

ولغة الكتاب تميل الى الصنعة التي تبتعد عن التكلف فهي لغة رائجة في عصر المؤلف ، انماز بها ابن الأبار في اغلب مصنفاته ؛ إذ مزجت هذه اللغة بين المحسنات البديعية والبيانية ، فضلا عن استعمالها للنصوص القرآنية والشعرية والنثرية ، والإفادة منها لغويا وبيانيا ، لترسم للمتلقي صورة واضحة جلية كاملة الجوانب والأركان لما يريده المؤلف ويهدف اليه من افكار .

المبحث الأول :

تقنية سلطة النص الديني :

تعرف الوسائل المستعملة في الحجاج بتقنيات الحجاج التي تعمل على تحقيقه وإنجاحه ، وقد تعددت وتنوعت الوسائل الإقناعية الموظفة في الحجاج.

وفي هذا المبحث سندرس (تقنية سلطة النص الديني) والتي تعني السلطة الضاغطة التي يمارسها ويفرضها النص الديني على المتلقي ؛ إذ يعمل المُحاجج على نقل نص ديني قرآني أو حديث نبوي ليدعم فكرته ويقنع المتلقي برأيه ، ولكل نص " خطابي هدف ينشده وغاية يرمي إليها ، فهو ينشد الفعل في المتلقي ويروم التأثير فيه وتوجيه أفكاره وسلوكه الوجهة التي يريد فينغرس بداهة في الحجاج ؛ إذ الفعل والتأثير والتغيير والتوجيه كلها من جوهر الحجاج وصميمه"^(٩) ، فالثقافة الاسلامية تمتعت بسلطتين كبيرتين هما الكتاب والسنة النبوية ، والمتلقي المسلم يُسلم بما فيهما ويقتنع بحججهما دون نقاش ؛ لأنهما يمثلان ارادة السماء ويتمتعان بأعلى مرتبة من البلاغة والإقناع.

ونلاحظ ذلك عند ابن الأبار في قوله " أذهب الله عنهم الرجس ، وشرف بخلقهم الجنس ، فأن تميزوا فبشريعتهم البيضاء ، أو تحيزوا فلعشيرتهم الحمراء . . ." ^(١٠) ، وظف المؤلف النص القرآني المتمثل بالآية القرآنية الكريمة التي تتحدث عن تطهير اهل بيت النبي (عليهم السلام) من الرجس (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)^(١١) ، ليحاجج ويقنع المتلقي المسلم بأن أهل هذا البيت لهم مرتبة مفروضة من الله تعالى ، فالمؤلف هنا ابتدأ نصه الحجاجي بحجة ذات سلطة دينية قوية ومن ثم بدأ بتفصيل حججه من ناحية ترابط النتيجة والسبب فهم) تميزوا — بسبب شريعتهم البيضاء و تحيزوا — بسبب عشيرتهم الحمراء) فقد نجح المؤلف في رسم صورة واضحة لحجته التي يريد اقناع المتلقي بها ،

فتعاضدت الحجة الكبرى (النص القرآني) و الحجج الصغرى المتمثلة بالسبب والنتيجة في ايصال فكرة طهارة اهل البيت وتفردهم في منزلة خاصة دون غيرهم من الخلائق وعند رسم مخطط للحجاج في هذا النص نستشف إن جميع الحجج تصب في نتيجة واحدة وهي فضل أهل البيت (عليهم السلام) وتطهيرهم من الرجس .

اية التطهير = حجة كبرى

=

حجة صغرى اولى = تميزوا = حجة صغرى ثانية = تحيزوا

ونجد استعمال المؤلف لهذه التقنية في قوله: " أولئك السادة أحيي وأدبي ، والشهادة بحبهم أوفى وأودي (ومن يكتمها فإنه آثم قلبه) (١٣) " (١٢) ، استدعى ابن الأبار في هذا النص سلطة الاية القرآنية الكريمة من سورة البقرة لتقوية حجته في محبة اهل بيت النبي (عليهم افضل الصلاة والسلام) والتأكيد على وجوب محبتهم وإظهارها والتمسك بها والعمل وفق ما تستدعيه هذه المحبة ، فمن يعمل عكس ذلك تنطبق عليه دلالة الاية القرآنية في فساد السريرة ونفاق القلب ؛ إذ تساوى حبهم مع الشهادة على هذا الحب والإعلان عنه ، فالكتمان يساوي عدم الحب والنفاق .

حجته في الحب = حجته في الشهادة على الحب

عدم الشهادة = عدم الحب والنفاق

وجاء هذا النوع من التقنيات الحجاجية عند المؤلف بقوله: "ربما ارتاب ناظر في هلكة العلوية وملكة الاموية ، وشفاء ما به قريب ، إن كان له من الفهم نصيب : الانبياء أشد الناس بلاء ثم الذين يلونهم ، فضلا عمّن يلدونهم (إنا وجدنا آباءنا على أمة) " (١٤) ، افاد ابن الأبار من تقنية سلطة النص في اقناع المتلقي بوجهة نظره ومعتقده الذي يؤكد على علو مرتبة اهل البيت النبوي (عليهم السلام) وان كان الحكم السياسي بيد اعدائهم (بني امية) ، ففضلهم الديني جلي واضح لا يرتاب به العاقل ، وإنما ما حدث لهم على يد اعدائهم ما هو إلا بلاء واختبار من الله تعالى يمتحن فيه الانبياء وأوصيائهم وذرا ريبهم (عليهم السلام)؛ كما في الحديث النبوي الشريف: "يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً قَالَ الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الصَّالِحُونَ ثُمَّ الْأُمَمُ ثُمَّ الْأُمَمُ ثُمَّ النَّاسُ يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ زِيدَ فِي بَلَاءِهِ وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ وَمَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ لَيْسَ عَلَيْهِ حَظِيئَةٌ" (١٥) ، وهذا الحديث قد امتلك سلطة دينية قوية وظفها المؤلف في نصه ليقوي حجته ويدعمها ، فيقبلها المتلقي ويفتتح بها ، ومن ثم تعززت الحجة بسلطة الاية القرآنية (إنا وجدنا آباءنا على أمة) (١٦) ، والتي تعني ان اهل البيت (عليهم السلام) هم ورثة النبي محمد (صل الله عليه واله) وما يقع على النبي من البلاء يقع عليهم ، فتضافت دلالة الحديث النبوي الشريف ودلالة الاية القرآنية الكريمة في ايجاد حجة قوية سلطوية لا يستطيع المتلقي انكارها ، وإنما تصديقها والعمل بها، ومن الحجج التي استعملها المؤلف بتقنية سلطة النص في دفاعه عن فاطمة الزهراء (عليها السلام) وحديثه عن فضلها ومنزلتها قوله: " مكثت للرسالة مواسية وأسية ، فثأنت في بحبوحة الجنة مريم وأسية ، ثم ربعت البتول فبرعت ، نطقت بذلك الآثار وصدعت: خير نساء العالمين

اربع." (١٧) ، افاد ابن الابار من الحديث الشريف الذي نصه: " أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم" (١٨) ، فقد وظف سلطته لتثبيت حجته التي تؤكد على منزلة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ومقامها السامي في الرسالة السماوية وتفضيلها على نساء العالمين ونجد تقنية النص حاضرة عند ابن الابار في قوله: "لا فرع للشجرة المباركة من سواها ، فهل جدوى أوفر من جدواها (الله أعلم حيث يجعل رسالاته) حَقَّتْ بالتطهير والتكريم ، وزقَّتْ إلى الكفاء الكريم ، فوردا صفو العارفة والمنة ، وولدا سيدي شباب أهل الجنة" (١٩) ، استمر المؤلف على تأكيد حجته في تفضيل أهل بيت النبي (عليهم السلام) ، ولاسيما فاطمة الزهراء (عليها السلام) ؛ لأنها بضعة النبي محمد (صل الله عليه واله) ، وفرعه المثمر الذي اثمر له ريحانته هما الحسن والحسين (عليهما السلام) ، فكل من ينتسب للنبي (صلى الله عليه واله) هو من ولد فاطمة وعلي (عليهما السلام) ، إذ وظف ابن الابار في حجته تقنية سلطة النص الديني القرآني كقوله تعالى : (الله أعلم حيث يجعل رسالاته) (٢٠) ، فهم مختارون من الله تعالى و موضوعون في مراتبهم التي اختارها الله لهم ، فضلا عن سلطة الحديث النبوي الذي ينص على إن (الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة) (٢١)

المبحث الثاني

تقنية الشاهد الشعري

اعتاد العرب في كلامهم وخطبهم على استحضار الشاهد الشعري الذي يختزن دلالة مكثفة تعمل على تأكيد وتقوية دلالة خطبهم وكلامهم ، و يوضع الشاهد الشعري في منتصف الكلام او نهايته ؛ إذ جرى خطباء العرب منذ العصر الجاهلي على التمثل بالشعر في خطبهم ، وهي ظاهرة مميزة في الخطابة العربية (٢٢) ، ويستعمل الشاهد الشعري كركيزة رئيسية من ركائز الخطاب بجميع أجناسه يستدل بها عن دلالة المتكلمين في خطاباتهم ورسائلهم التي تتضمن وجوه حجاجية مختلفة ، فيأتي الشاهد الشعري ليختصر الدلالة وينير مسالك الحجاج التي سلكها المتكلم للمتلقى ؛ إذ تعد كصعقة كهربائية يحتاجها النص لتعيد فيه الحياة فيجلب ذلك انتباه المتلقي وتوضح له الدلالة ويعرف موطن الحجاج وتفصيله ، وقد جاء في كتاب (درر السمط) هذا النوع من التقنية الحجاجية في عدد غير قليل من النصوص ، مثل: " تذرروا والردى موجه يلتطم ، وتوامروا والقنا يكسر بعضه بعضاً ويحتطم ، فإن يكونوا ما / عرجوا في مراقي الملك ، فقد درجوا في مهاوي الهلك :

ونحن أناس لا توسط عندنا لنا الصّدر دون العالمين أو القبر ... " (٢٣) ، وظف ابن الابار دلالة البيت الشعري : "ونحن أناس لا توسط عندنا لنا الصّدر دون العالمين أو القبر " (٢٤) ، في اثبات حجته في نصه النثري التي تدل على علو شأن أهل البيت (عليهم السلام) وسمو مرتبتهم على سائر الناس ، فلا يقبلوا بغير ذلك ، ولا يستسيغوا الذل والهوان ، ولا يقبلوا بغضب الرحمن ، الموت عندهم اهون وطريق القبر اسلك ، فمنزلتهم عند الله تعالى محفوظة وكرامتهم مصانة ؛ إذ عملت تقنية الشاهد الشعري المستعمله في هذا النص على ايضاح دلالة النص النثري الحجاجي ، ومن ثم تقوية عنصر الحجاج ودعمه من جميع الجوانب ليصل الى المتلقي في صورة كاملة ومفهومة .

وفي قول ابن الأبار: " وفطنت خديجة لاحتباسه ، فأمنت في التماسه ، ... ، ولفورها ، بعثت في طلبه رسلها ، وانبعثت تأخذ عليه شعاب مكة وسبلها :

إنَّ المحبَّ إذا ما لم يزر زارا^(٢٦) " ^(٢٥)، وضع المؤلف عجز بيت شعري مستعملا دلالاته لتعزيد دلالة النص النثري التي تدل على اهتمام خديجة (عليها السلام) وحبها لزوجها النبي محمد (صلى الله عليه واله) ، وإنها بحثت عنه اثناء غيابه للتعبد في غار حراء ، فكانت دلالة عجز البيت الشعري عامل مساعد يقوي الحجة المركزية للنص النثري ، فتعاونت حجة الشاهد الشعري مع الحجة المركزية للنص النثري على تأسيس اتجاه حجاجي موحد يبرز مدى عظمة محبة خديجة (عليها السلام) للنبي محمد (عليه الصلاة والسلام) ، وقد استعمل الكاتب دلالة شطر من البيت الشعر ؛ لقوته الحجاجية وموافقته للسياق في النص .

ومن ذلك ايضا ما نصه: " وما زالت ما به من الغمّة ، وقالت : إني لأرجو أن تكون نبّي هذه الأمة :

إني تفرست فيك الخير أعرفه والله يعلم أن ما خانني البصر

أنت النبيّ ومن يجرم شفاعته يوم الحساب فقد أزرى به القدر^(٢٨) . . . " ^(٢٧) ، استعان ابن الأبار بدلالة البيتين الشعريين في تأكيد حجته التي تدل على نباهة خديجة (عليها السلام) وتقديرها الصائب للإحداث ومعرفتها بنبوة النبي محمد (صلى الله عليه واله) ؛ إذ عمل الشاهد الشعري في تعزيز الفضاء الحجاجي الذي بناه المؤلف عبر نصه النثري ، فجاءت دلالة البيتين منسجمة مع السياق الدلالي لذلك النص.

وعلى النمط نفسه قول ابن الأبار: " لا ترهب فسوف تبهر ، وسيبدو أمر الله ويظهر ، أنت الذي سجت به الكهان ، ونزلت له من صوامعها الرهبان ، وسارت بخبر كرامته الركبان ، أنت الذي ما حملت أخفّ منه حامل ، ودرّت ببركته الشاه فإذا هي حافل :

وأنت لما ولدت أشرق الـ أرض وضاعت بنورك الأفق

فحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرّشاد نخترق " ^(٢٩) ، لقد اردف المؤلف حججه واحدة تلو الاخرى في هذا النص ، ليؤكد على نبوة النبي محمد (صلى الله عليه واله) ؛ إذ اشار الى احداث تاريخية ومعجزات تناقلتها كتب التاريخ والسير تدل دلالة واضحة على عظيم منزلة النبي محمد (صلى الله عليه واله) ، وصدق نبوّته ، ومن ثمّ ختم المؤلف هذه الحجج بحجة أخرى حملها النص الشعري تجري في السياق نفسه ، ليكون تأثيرها في المتلقي كبيرا وواضحا ، فأحسن ما يتعاطى من أجناس صنعة الشعر والنثر ، هو أن تأتي بمعنى ثم تؤكد بمعنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على المعنى الاول ، والحجّة على صحّته^(٣٠) ، فوظف المؤلف هذه التقنية ، لإيصال حجته للمتلقي ودعم فكرته ومعانيه .

نجد ذلك في قول المؤلف : " فرجعت أدراجها في ارتياد الاقناع ، وألقى في روعها الخمار والقناع ، فهناك وضح لها البرهان ، وصحّ لديها أنّ الاتي ملك لا شيطان:

تدلى عليه الروح من عند ربّه وينزل من جوّ السماء يرفع

نشاوره فيما نريد وقصدنا إذا ما انتهى إنّا نطيع ونسمع" (٣١) ، استمر المؤلف في استعمال هذا النوع من التقنية الحجاجية للتأكيد على ما يطرحه من حجج ؛ إذ دارت حججه في هذا النص حول ما عانته خديجة (عليها السلام) من قلق وخوف على النبي محمد (صلى الله عليه واله) وما يراد به بعد رؤيته للوحي أول مرة ، ولكنها أطمئنت بعد معرفتها لحقيقة الوحي وما يمثله من ارادة الله تعالى ، فبشرت النبي محمد (عليه الصلاة والسلام) بالنبوة وحمله للرسالة السماوية ، فكان دور الشاهد الشعري هو تثبيت دلالة النص الثري ودعم حججه ، فضلا عن استمالة المتلقي لما يمتلكه النص الشعري من موسيقى تميل لها النفس وتطرب .

المبحث الثالث:

تقنية الفنون البلاغية

تعدّ الفنون البلاغية وأساليبها تقنية من تقنيات النظرية الحجاجية التي تعالج النصوص الإقناعية ؛ لأنها وسيلة من وسائل الإقناع والتأثير في المتلقي ، فضلا عن الفهم و الإفهام ، فالبيان هو "اسم جامع لكل شيء ، كشف لك قناع المعنى ، وهتك الحجب دون الضمير حتى يقضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كأننا ما كان ذلك البيان ومن أي جنس كان ذلك الدليل ؛ لأن مدار الأمر وغايته التي يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام ، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان عن الموضوع" (٣٢) ، الذي يعمل للوصول الى تعديل موقف المستمع أو المتلقي ، فالبلاغة تمثل منهجا للفهم والإقناع النصي مرجعه التأثير (٣٣) ، وللكشف عن التقنيات البلاغية ومدى تأثيرها في كتاب (درر السمط) ومدى فاعليتها في خلق الإقناع والتأثير في المتلقي سندرس بعض النصوص التي تمتلك هذه التقنيات ومنها قول ابن الأبار : " كانت بنو حرب فراعنة ، فذهب ابن بنت الرسول ليخرجهم من العراق فانعكس المروم ، وحورب ولا فارس والرّوم ." (٣٤) ، استعمال المؤلف في هذا النص تقنية حجاجية بلاغية وهي التشبيه ؛ إذ شبه بنو حرب من الامويين بالفراعنة المصريين ، بوصفهم رمزا للطغيان الذي يصل الى ابعد الحدود ، مشيرا الى افعالهم وما اقترفوه من ظلم وفساد بحق البلاد والعباد ، فجاءت هذه التقنية لتؤكد حجة المؤلف وتدعم فكرته التي تساند نهضة الامام الحسين (عليه السلام) ابن بنت الرسول (صلى الله عليه واله) وانتفاضته بوجه الامويين لما يمثلونه من ظلم وطغيان يساوي ظلم وطغيان الفراعنة.

ظلم وطغيان بني امية في العراق = ظلم وطغيان الفراعنة في مصر

وتظهر عملية حجاجية أخرى عند ابن الأبار باستعمال التقنية البلاغية بقوله : " إن علياً طار مع النسر نسر السماء ، وباغيه سبح مع الحوت حوت الماء ، حتى بلغا الغاية . ما نقمة منه العبشمية ، ولا نعت الطائفة الحكمية ، الى أن جدل الوليد بن عتبة ، ثم جلد الوليد بن عقبة . ." (٣٥) ، نرى المؤلف في هذا النص قد وظف التقنية البلاغية الاستعارية في موضعين الاول (إن علياً طار مع النسر نسر السماء) ؛ إذ استعار عملية الطيران ونسبها الى الامام علي (عليه السلام) ليصور علو شأن الامام وارتفاع مقامه المشابه لمقام النسر في السماء ، اما الثاني (وباغيه سبح مع الحوت حوت الماء) ، هنا استعار عملية السباحة مع الحوت (السمك) ليصور مدى انخفاض و قلة شأن اعداء الامام علي (عليه السلام) ومعانديه ، نلاحظ في

توظيف هذه النوع من التقنية البلاغية ، رغبة المؤلف في ايضاح الصورة ، وترسيخ الفكرة التي يؤمن بها وإيصالها الى المتلقي بصورة بيانية ليتحقق الحجاج والإفهام ومن ثم الإقناع .

وتضافر الايقاع الموسيقي الناتج عن السجع في نهاية الفقرات (العيشمية ، الحكمية) و(بن عتبة ، بن عقبة) ، مع الاستعارات ، فضلا عن الكنايات الناتجة عن (العيشمية والحكمية)^(٣٦) ، لتأليف جبهة حاجية بلاغية تستهدف مشاعر المتلقي والتأثير فيها.

وكذلك جاءت التقنية البلاغية في قول المؤلف : " وافي السبط في خيل عريت نواصيها من الخير ، وذوبان عربان كأن أسنتهم المقابيس والرايات أجنحة الطير ، وقد لجأ الى ذي حسم متحصنا ، وضرب هناك أخبثه متبيناً .."^(٣٧) ، اضافت التقنيات البلاغية في هذا النص مسحة جمالية ، فضلا عن ما تحمله من مقدرة حاجية اقناعية ساهم كل ذلك في خلق صورة متكاملة واضحة الجوانب للمتلقي ، ابتداءت من صورة خيل الحر الرياحي قائد جيوش ابن زياد التي رسمها المؤلف بريشة الاستعارة ؛ إذ انتزع الخير من نواصيها ، وأصبحت تدل على الشر ، اشارة الى ما كلفت به من جعجة بركب ابن رسول الله (صلى الله عليه واله) الامام الحسين السبط (عليه السلام)، وصورة اسنة القوم التي شُبهت بالمقابيس لشدة لمعانها ، فضلا عن تشبيه الرايات وخفوقها بأجنحة الطير عند طيرانها ؛ إنّ التركيز على الصور المرعبة والمشاهد المفزعة للنفس التي استعملت في تصوير جيش ابن زياد ، حققت هدفها في ايصال فكرة حاجية تستهدف المتلقي ، لتوضح مستوى العنف والبشاعة التي مثلها هذا الجيش .

وفي قول المؤلف : " سرعان ما بلى منهم الجديد ، وغرى بهم الحديد ، نسفت أجبلهم الشامخة ، وشدخت غرهم الشادخة ، فطارت بطرهم الأرواح ،، وراحت عن جسومهم الأرواح ، بعد أن فعلوا الأفاعيل ..."^(٣٨) ، نلحظ استعمال تقنيات بلاغية حاجية موجه للمتلقي للتعريف بمظلومية اهل البيت (عليهم السلام) وما حدث لهم على ايدي اعدائهم من بني امية ؛ إذ مزج بين الكنايات بقوله (بلى منهم الجديد ، وغرى بهم الحديد) ليصور استشهادهم بالسيوف وذهاب اعمارهم وهم شباب ، والاستعارات بقوله (نسفت أجبلهم الشامخة) و(شدخت غرهم الشادخة) ، ليصور منزلتهم بالجمال الشوامخ التي نُسفت بعد استشهادهم ، وصور وجوههم المنيرة بغرر الخيول البيضاء الواسعة ، فضلا عن توظيف بعض المحسنات البديعية لتعزيز الصور البيانية السابقة ، مثل الجناس في (الجديد ، الحديد) و(الشامخة ، شدخت ، الشادخة) و(طارت ، طرهم) (الارواح ، الارواح) (فعلوا ، الافاعيل) ؛ إذ ساهمت الموسيقى الناتجة من الجناس في تأليف نغمة ايقاعية تشعر المتلقي بالقسوة والألم الشديد المصاحب لفاجعة الطف .

ومزج ابن الابار كعادته بين التقنيات الحجاجية المختلفة في النص الواحد لتقوية حجته واستمالة المتلقي بما توفره هذه التقنيات من مؤثرات ، فقد كانت التقنيات البلاغية من اهم تلك التقنيات ؛ إذ جاءت تقنية الاستعارة في عبارة (لا فرع للشجرة المباركة من سواها)^(٣٩) فالنبي محمد (صل الله عليه واله) استعير عنه بالشجرة المباركة ، وكانت تقنية الجناس حاضرة بين (التكريم ، الكريم) ، (جدوى ، جدواها) ، فضلا عن تقنية السجع في نهاية الفقرات وما تحمله من موسيقى وإيقاع ، فتضافرت التقنيات البلاغية وما تحمله من نغمات موسيقية تسهم في جذب انتباه المتلقي وارتياحه ومن ثم الإقناع بالحجج والبراهين التي قدمها النص.

ومن التقنيات الحجاجية الأخرى التي وظفها المؤلف في هذا النص نجد تقنية الطباق البلاغية في عبارتي (هلكة العلوية ، وملكة الأموية) (٤٠) فضلا عن الجرس الموسيقي الذي يصدر عنهما من تقنية الجناس ، فساعد كل ذلك في تقوية الحجة ووضوح البرهان .

وكذلك في قوله: "مكثت للرسالة مواسية وأسوية ، فنلثت في بحبوحة الجنة مريم وأسوية ، ثم ربعت البتول فبرعت ، نطقت بذلك الآثار وصدعت: خير نساء العالمين أربع." (٤١) ، لم يقتصر ابن الأبار في نصوصه على تقنية واحدة ، وإنما استعمل تقنيات مختلفة في النص الواحد ، فضلا عن استعمال أنواع مختلفة من التقنية البلاغية منها تقنية الجناس الناقص بين (مواسية وأسوية ، ربعت ، برعت) والجناس التام بين (أسوية وأسوية) فضلا عن نعمة السجع الناتجة من نهاية الفقرات في (برعت ، صدعت) فتضافرت هذه التقنيات وتعاونت على إيصال جميع هذه الحجج للمتلقي بصورة واضحة ومفهومة يتقبلها العقل والقلب السليم .

الخاتمة:

بعد الانتهاء من البحث لابد لنا من ذكر أبرز النتائج التي ظهرت وهي :

- ١- ابن الأبار له أسلوب نثري بلاغي جميل في الكتابة وكان كتاب (درر السمط) نموذجا يمثل هذا الأسلوب.
- ٢- استعمل ابن الأبار تقنيات حجاجية مختلفة في كتابه (درر السمط) منها تقنية سلطة النص ، و تقنية الشاهد الشعري ، والتقنية البلاغية .
- ٣- كانت سلطة النص الديني المتمثلة بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، بارزة وواضحة في نصوص المؤلف ، فقد وظفها لخدمة معتقده وما يؤمن به من احقية اهل بيت النبي (عليهم السلام) في الخلافة ، فضلا عن مظلوميتهم وما واجهوه من مصائب على يد اعداء الدين بني امية .
- ٤- وجاءت تقنية الشاهد الشعري لتعزيز حجية نصه النثري وتقوية دلالاته ليؤثر في المتلقي ويمسك بزمام الاقتناع والإفهام الذي يبتغيه.
- ٥- لعبت تقنية الشاهد الشعري دور الشاهد على صحة وحقيقة حجة النص النثري .
- ٦- جاءت التقنية البلاغية في أكثر الأحيان مشتركة مع التقنيات الأخرى ، فهي ذات أهمية بالغة في تصوير الحجة ورسمها للمتلقي ؛ لتكون ذات ابعاد ملموسة تسهل رؤيتها والتأثر بها .
- ٧- تنوعت التقنيات البلاغية بين الاستعارة والتشبيه والكنائيات فضلا عن الجناس والسجع الذي رسم الابعاد الموسيقية والإيقاعية للحجج والبراهين .

الهوامش:

- (^١) ينظر : الحجاج في الشعر العربي: ٢٦- ٢٧.
- (^٢) ينظر: الحجاج في الشعر العربي: ٢٣.
- (^٣) ينظر: الحجاج في الشعر العربي: ٩٠.
- (^٤) ينظر: اهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو الى اليوم: ٢٩٨.
- (^٥) ينظر: المغرب في حلى المغرب: ٣٠٩/٢ - ٣١٢. وينظر: الذيل والتكملة: ٢٥٣/٦ - ٢٧٥. ويطر: فوت الوفيات: ٤٠٤/٣. وينظر: الوافي بالوفيات: ٣٥٥/٣.
- (^٦) ينظر : الذيل والتكملة: ٢٧٥/٦.
- (^٧) ينظر: اختصار القدر المعلى: ١٩١: المغرب في حلى المغرب: ٣٠٩/٢- ٣١٢ وفيات الاعيان: ١٤١/١.
- (^٨) نفع الطيب: ٥٠٦/٤.
- (^٩) الحجاج في الشعر العربي: ٧٠.
- (^{١٠}) درر السمط: ٦٢.
- (^{١١}) الاحزاب: ٣٣.
- (^{١٢}) البقرة: ٢٨٣.
- (^{١٣}) درر السمط: ٦٢.
- (^{١٤}) درر السمط: ٦٦.
- (^{١٥}) مسند احمد: ٣٢٢/٢.
- (^{١٦}) الزخرف: ٢٢- ٢٣.
- (^{١٧}) درر السمط: ٧٧.
- (^{١٨}) الجامع الصغير: ١٤٨/١.
- (^{١٩}) درر السمط: ٧٨.
- (^{٢٠}) الانعام: ١٢٤.
- (^{٢١}) مسند احمد: ٣/٢، ٢٩١/٥.
- (^{٢٢}) ينظر : في بلاغة الخطاب الاتقاعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية: ٩٣ نقل استراتيجيات الحجاج ص ١٨٨.
- (^{٢٣}) درر السمط: ٦٥.
- (^{٢٤}) ديوان ابي فراس: ٢١٤.
- (^{٢٥}) ديوان العباس بن الاحنف: ١٢٥. (نزوركم لا تكافيكم بجفوتكم إنَّ المحبَّ إذا ما لم يزر زارا)
- (^{٢٦}) درر السمط: ٧١.

- (٢٧) ديوان عبد الله بن رواحة : ٩٤ .
- (٢٨) درر السمط : ٧٣ .
- (٢٩) درر السمط : ٧٣ .
- (٣٠) ينظر : الصناعيتين : ٤١٦ . استراتيجيات الخطاب ١٣٦ .
- (٣١) درر السمط : ٧٤ .
- (٣٢) البيان والتبيين : ١١٥/١ .
- (٣٣) ينظر : الحجاج في البلاغة المعاصرة : ١٧٥ .
- (٣٤) درر السمط : ٩٤ .
- (٣٥) درر السمط : ٨٦ .
- (٣٦) العيشمية (كناية عن عبد شمس بني امية ، حكيمية (كناية عن الحكم بن العاص بنو الحكم)
- (٣٧) درر السمط : ٩٩ .
- (٣٨) درر السمط : ٦٤ .
- (٣٩) درر السمط : ٨٧ .
- (٤٠) درر السمط : ٨٧ .
- (٤١) درر السمط : ٧٧ .

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم:

- ١- إستراتيجيات الخطاب ، مقارنة لغوية تداولية: عبد الهادي بن ظافر الشهري ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٤م ..
- ٢- اختصار الفدح المُلحى في التاريخ المُحلى ، لابن سعيد أبي الحسن علي بن موسى (ت ٥٦٨٥)، اختصره ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل ، تحقيق: إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت - لبنان ، ط٢ ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
- ٣- اهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو الى اليوم ، فريق البحث في البلاغة والحجاج ، إشراف حمادي صمود ، سلسلة آداب ، جامعة الآداب والفنون والعلوم الانسانية ، كلية الآداب ، مَنوية ، تونس ، دط ، دت .
- ٤- البيان والتبيين ، للجاحظ ، تقديم الدكتور ، علي بو ملجم، دار مكتبة الهلال، مجلد ١ ، دط ، ٢٠٠٢م .
- ٥- الحجاج في البلاغة المعاصرة ، بحث في بلاغة النقد المعاصر ، محمد سالم محمد الامين الطلبة ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٩م .
- ٦- الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، الدكتورة سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، إربد - الأردن، ط٢ ، ٢٠١١م ..

- ٧- درر السَّمط في خبر السَّبَط ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار (ت ٦٥٨هـ) ، تحقيق : الدكتور عز الدين عمر موسى ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ٥١٤٠٧ - ١٩٨٧م .
- ٨- ديوان أبي فراس الحمداني ، تعليق : سامي الدهان ، مكتبة الدكتور مروان العطية ، دط ، ١٩٤٤م .
- ٩- ديوان العباس بن الاحنف ، دار صادر ، بيروت - لبنان ، ١٩٨٧م .
- ١٠- ديوان عبد الله بن رواحة ، دراسة في سيرته وشعره ، د. وليد القصاب ، دار العلوم ، ط ١ ، ١٩٨١م .
- ١١- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، لابن عبد الملك الانصاري الاوسي المراكشي ، تحقيق: د. محمد بن شريفة ، د. إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت - لبنان ، دط ، دت .
- ١٢- صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) ، محمد ناصر الدين الالباني ، اشرف على طبعه ، زهير الشاويش ، المكتب الاسلامي ، بيروت ط ٣ ، ٥١٤٠٨ - ١٩٨٨م .
- ١٣- فوت الوفيات ، محمد بن شاعر الكتبي ، تحقيق ، إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ج ٣ ، ١٩٧٤م . وينظر الوافي بالوفيات ، لصلاح الدين خليل بن ابيك الصّفيدي ، تحقيق: أحمد الارناؤوط ، تركي مصطفى ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ٥١٤٢٠ - ٢٠٠٠م .
- ١٤- في بلاغة الخطاب الاقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية ، الخطابة في القرن الأول نموذجاً ، محمد العمري ، أفريقيا الشرق ، الرباط ، المغرب ، دط ، ٢٠٠٢م .
- ١٥- كتاب الصناعتين ، الكتابة والشعر ، تصنيف أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق: علي محمّد البجاوي ، ومحمّد أبو الفضل ابراهيم ، دط ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
- ١٦- مسند الامام احمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٨م .
- ١٧- المغرب في حُلَى المغرب ، تحقيق : الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة - مصر ، ط ٤ ، دت .
- ١٨- نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، الشيخ أحمد بن محمد المقرئ التلمساني ، تحقيق: الدكتور احسان عباس ، دار صادر بيروت - لبنان ، دط ، ٥١٤٠٨ - ١٩٨٨م .
- ١٩- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت ٦٨١هـ) إحسان عباس ، دار صادر بيروت ١٩٠٠م .